ASJP
Algerian Scientific Journal Platform

المجلة التاريخية الجزائرية

ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664

المجلد:06، العدد: 01 (2022)، ص484-503

# المخططات المعمارية للمنشآت المدنية العثمانية بمدينة معسكر

# Architectural plans for the ottoman civil buildings in Mascara city

عبد القادر قرمان
جامعة مستغانم (الجزائر)
karmanea2000@yahoo.fr

**معلومات المقال**

**تاريخ الارسال:**
2022/04/14
**تاريخ القبول:**
2022/06/12

**الكلمات المفتاحية:**
- ✓ الطرز
- ✓ المخططات المعمارية
- ✓ مدينة معسكر
- ✓ المباني المدنية

**الملخص:**

تأثرت العمارة المدنية في الجزائر خلال الفترة العثمانية بالطراز المعماري العثماني، حيث أدخلت على مخططاتها العديد من الطرز والعناصر المعمارية الجديدة التي لم لكن معروفة من قبل، وقد وظفها المعماري الجزائري في منشآته لكونها تتوافق مع الحدود الشرعية والتقاليد والأعراف المحلية، كما شملت كل مناحي الحياة من توفر الشروط السياسية والاجتماعية والصحية والاقتصادية والثقافية، وقد تطرق الأستاذ لعرج عبد العزيز رحمه الله في عدة أبحاث لهذه الطرز والمخططات خاصة منها الدينية والمدنية، وتهدف هذه الدراسة إلى التعريف بالمباني المدنية بمدينة معسكر، وبطرزها المعمارية والفنية بمقارنتها بمنشآت الجزائر خلال الفترة العثمانية، حيث توصلنا في الأخير إلى تشابه المباني المدنية بمعسكر في طرزها المعمارية أنماطها الفنية مع مثيلاتها في الجزائر.

**Article info**

**Received:**
14/04/2022
**Accepted:**
12/06/2022

**Key words:**
- ✓ Models Abbas.
- ✓ Architectural plans
- ✓ Mascara city.
- ✓ Civil buildings.

**Abstract:**

Civil architecture in Algeria during the Ottoman period was affected by the Ottoman architectural style, as many new architectural styles and elements were introduced into its plans, which were not known before. It also included all aspects of life in terms of the availability of political, social, health, economic and cultural conditions. Prof. Dr. Laraj Abdul Aziz, may God have mercy on him, discussed in several researches these models and schemes, especially religious and civil ones, This study aims to introduce the civilian buildings in the city of Mascara, and their architectural and artistic styles by comparing them with the installations of Algeria during the Ottoman period, where we finally reached the similarity of the civilian buildings in Mascara in their architectural and artistic styles with their counterparts in Algeria.

# المخططات المعمارية للمنشآت المدنية العثمانية بمدينة معسكر

**مقدمة**

عرفت الجزائر خلال الفترة العثمانية تشيّيد العديد من المنشآت المعمارية المتنوعة، التي توزعت على مختلف مدن البايلك الثلاثة المشهورة، وتنقسم هذه المنشآت إلى عدة أنواع منها المباني الدينية والمدنية والعسكرية، حيث أن الكثير منها مازال قائما إلى غاية اليوم رغم أعمال الطمس والتغييرات التي أحدثها المستدمر الفرنسي عليها.

وتعد المنشآت المعمارية السكنية والإدارية من أجمل وأهم المباني التي ميّزت العمارة العثمانية في الجزائر، فقد انفردت بطُرزها ومخططاتها المعمارية المتميّزة التي جمعت بين التأثيرات المحلية والعثمانية الوافدة في عناصرها وزخارفها الفنية، حيث بذل المعمار جهودا كبيرة في احترام شروط البناء القائمة على تعاليم الدين الإسلامي من جهة وعادات وتقاليد أهل البلد وحرمة الجار من جهة أخرى، كما أنه أعطى للطبيعة ومناخها أهمية كبيرة في التخطيط، للحفاظ على سلامة السكان من الأضرار الصحية التي قد تترتب عن مساوئ البناء، كعدم دخول أشعة الشمس إلى الداخل، مما قد يتسبب في كثرة الرطوبة التي ينتج عنها الأمراض.

وقد شهدت مدينة معسكر خلال هذه الفترة بناء الكثير من المباني السكنية والإدارية، حيث أننا اخترنا منها نماذجا لدراسة مخططاتها المعمارية وما ميّزها من طرز وعناصر معمارية، ومقارنتها بمثيلاتها في منشآت مدن الجزائر، التي درس طرزها العديد من الباحثين خاصة منهم الأستاذ لعرج عبد العزيز رحمه الله.

وبناءً على ما سبق قمنا بطرح إشكالية تتمحور حول: **ماهية الخصائص والمميزات الرئيسية للمخططات المعمارية للمنشآت السكنية والإدارية العثمانية بمدينة معسكر؟** وانطلاقا منها اتبعنا المنهج الأثري الوصفي التحليلي لدراسة هذا الموضوع لتناسبه مع طبيعته القائمة على العمل النظري والميداني، وذلك بوصف المباني وتحليل المعطيات المتعلقة بالطرز المعمارية والأنماط الفنية، حيث اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع نذكر من أهمها: كتاب الآغا بن عودة المزاري، "**طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**"، وكذلك: كتاب ابن سحنون أحمد الراشدي، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، بالإضافة إلى مقال للأستاذ لعرج عبد العزيز، "**العمران الإسلامي وعمارته السكنية، قيم دينية ودلالات اجتماعية**"، وأيضا رسالة موساوي عربية، **الحمّامات الجزائرية من العصر الإسلامي إلى نهاية العهد العثماني**، كما استعملنا وثائق الأرشيف خاصة منها:

Archivo historicos national, Oran, Madrid campana.

- **Rapport d'ensemble sur la colonisation, situation de la ville de Mascara et du village de s^t André**, Mascara le 18 décembre 1852, p2, Service Archives nationales d'outre- mer, Aix En Provence, France.

**1. المخطط المعماري للبيت الإسلامي وشروطه**

كان من الطبيعي أن يتأثر المخطط العام للبيت العربي بالدين الجديد كما تأثرت العمارة والفنون وأسلوب الحياة[1]، حيث أتبع في طريقة تصميمه تعاليم الدين الإسلامي التي تدعو إلى التواضع وعدم الافتخار والتحلي بالتقشف، وتجنب التطاول في البنيان، لتفادي الفروق الطبقية وإيذاء المستضعفين[2]، لذلك جاء تصميمه تصميما مشتركا في هيكله العام الذي روعي فيه ظروف المناخ ونوعية المكان[3]، لتتماشى مع حياة الناس، ويوفر لهم الأمن والراحة والاستقرار، ثم سعى بأن يجد فيه كذلك الرفاهية والجمال، وكان لتحقيق هذه الأغراض يختلف باختلاف الزمان والبيئة ومستوى الفرد من حيث الفقر والغنى[4]، وهكذا نجد مساكن الفئات الفقيرة بسيطة لا تغنى بالزخارف والتزيين، كما نجد بيوت الفئات الغنية مستكملة لكافة الشروط الصحية، وجميع ضروب الرفاهية.

وعلى العموم فإن طبيعة الدور وكيانها في العالم الإسلامي جاءت متشابهة، وذلك نتيجة لتفاعلات كبيرة بين العوامل الدينية والاجتماعية وغيرها من المؤثرات، التي تطبع كل مجتمع بطابع خاص من مكان إلى آخر ومن عصر لآخر[5]، لأنها تعبر دائما عن المظهر الثقافي والحضاري للأسرة والمجتمع، فهو الخلية الأساسية للمدينة ومحور نموها وتنظيمها وتطورها[6].

لقد تطورت الوحدات السكنية في المدينة الإسلامية عبر العصور بطريقة لبست ثوبا واحدا هو الإسلام، كما تطورت من حيث امتدادها الأفقي وصورتها العمودية، وكانت في منشئها تخضع للمنظومة القيمية الإسلامية في جانبها الإنشائي وتحولاتها المعمارية، وذلك بطريقة تحفظ كيان الأسرة وحرمتها وحريتها الشخصية، ولا تحدث ضررا بالغير جارا كان أو عابر سبيل، وذلك بكيفية تتفق مع القاعدة الأصولية المنافية للضرر والإضرار: "**لا ضرر ولا ضرار**"، وهي قاعدة أخذ بها الفكر العمراني للمسلمين[7]، ويتضح تفاعل المعمار معها فيما ابتكره من عناصر معمارية وما طبقه من كتل في المنشآت السكنية، حيث تعوّد المسلمون في القرون الأولى للهجرة (2-1هـ/7-8م) في الأقاليم المفتوحة، بناء مساكنهم في المدن الجديدة المنشأة على يدهم، أو المدن القائمة قبلهم بشكل أفقي وعلى المستوى الأرضي، وهو ما حدث في مدينة الفسطاط في مصر التي أنشأها عمرو بن العاص بعد فتح مصر في سنة 21هـ/641م، حيث أنها شهدت حركة عمرانية ومعمارية كثيفة في وقت قصير، بما وفد عليها من عناصر سكانية عديدة من العرب وغيرهم فازدحمت بالمباني[8].

وحدث في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، وكان واليه على مصر عمرو بن العاص أن "**خارجة بن حذافة**" كان من أصحاب الرسول ﷺ ومتولي الشرطة لعمر بن العاص، استقر بفسطاط مصر، وضاق عليه سكنه فبنى غرفة في طابق علوي، وكان أول من أحدث ذلك في مصر، وربما في المدن الإسلامية جميعا، وفهم الناس ذلك خطأً أن خارجة يتعدى على عورات المسلمين من جيرانه، ولا شك أنهم اشتكوا أمره إلى والي مصر عمرو بن العاص، فلما لم يحصلوا منه على جواب، رفعوا القضية إلى الخليفة عمر نفسه،

فكتب الخليفة إلى واليه على مصر يقول: "...**أما بعد فإنه بلغني أن خارجة بن حذافة بنى غرفة، ولقد أراد خارجة أن يطّلع على عورات جيرانه، فإذا أتاك كتابي هذا فاهدمها ...والسلام**"[9]، ومن خلال هذه الحادثة يتضح لنا أمران: **الأول** استهجان المسلمون الأوائل بناء المساكن عمودية على شكل طوابق. و**الثاني** إن هذا الاستهجان لم يكن لذاته، وإنما كان توجسا من المسلمين ومن الجيران من كشف حرماتهم والإطلاع على خصوصياتهم وأسرارهم الخاصة، والاعتداء على حرمتهم الفردية، وهو ما يتنافى والقيم الإسلامية[10].

خضع الامتداد الأفقي للمنازل في الفترة العثمانية لعدة أمور هامة أولها المكان الذي أنشئ عليه الأثر[11]، أي مساحة تلك الدور وامتدادها، والتي تتحكم فيها ظروف النفوذ وسيطرة بعض العائلات في الأحياء المختلفة من المدينة[12]، بالإضافة إلى وظيفة صاحب المنشأة وقدرته المالية التي تساعد على الصرف[13]، وكذلك طبيعة المواد التي بنيت منها وقلة كثافة السكان وضآلة أثمان الأرض أيضا[14].

## 2. المباني المدنية في مدينة معسكر

### 2. 1. دار الباي

تقع هذه الدار المسماة حاليا بـ "**دار القيادة للأمير عبد القادر**" في وسط مدينة معسكر، وبالضبط في ساحة الشهداء يحدها من الجهة الغربية شارع القدس، ومن الجهة الشرقية شارع يخلف بلعيد، هناك غموض كبير يكتنف تاريخ هذه المنشأة، إذ وجدنا صعوبة كبيرة في تحديد تاريخ بنائها وكذا مؤسسها، وهذا نظرا لنقص الأدلة التاريخية والمادية التي تشير إلى ذلك، وحسب ما جاء في مذكرات تدينا يرجح أنها بنيت في منتصف القرن الثامن عشر، خلال فترة حكم الباي محمد الكبير. وبعد ذلك أصبحت مقرا لقيادة الأمير عبد القادر الجزائري منذ مبايعته كسلطان على الجزائر سنة 1832، وإلى غاية 1841 تاريخ سقوط المدينة في أيدي الاحتلال. وعندها تم تحويل هذا المعلم إلى ثكنة عسكرية إلى غاية 1962.(أنظر الصورة1)

### 2. 2. منزل الميزابي (الدار الكبيرة)

يقع هذا المنزل في رحبة باب علي وبالضبط في شارع الأمير عبد القادر، وهي مقابلة لزاوية أبي راس الناصري. أما عن تاريخها فلم نجد ما يثبت تاريخ بنائها، إلاّ ما جمعناه من روايات شفوية تشير إلى أنّ تاريخ بنائها يعود إلى أواخر القرن الثامن عشر وهي حاليا ملكا لأسرة من منطقة بني مزاب، والذي يؤجرها لبعض العائلات من مدينة معسكر (أنظر الصورة رقم 3).

### 2. 3. المحكمة الرئيسية

تتواجد المحكمة المسماة حاليا بـاسم "**محكمة الأمير عبد القادر**" في وسط مدينة معسكر، وبالضبط في ساحة الشهداء عند ملتقى شارعي بوقصري طاهر من الجهة الشرقية وشارع مصطفى بن بولعيد من الجهة الجنوبية الغربية، وهي مقابلة لدار القيادة، إذ لا يفصل بينهما إلاّ الطريق. إن الباحث في تاريخ هذه المنشأة سيجد صعوبة كبيرة في معرفة سنة تشييدها، وتتفق أغلب آراء المؤرخين أنها بنيت من طرف الباي محمد الكبير في منتصف القرن الثامن عشر، حيث أنها كانت المحكمة الرئيسية للغرب الجزائري باعتبار أن مدينة

معسكر عاصمة للبايلك، وبعد الفترة العثمانية اتخذها الأمير عبد القادر كمحكمة لدولته الناشئة من سنة 1832م إلى غاية 1841م وهو تاريخ سقوط المدينة في أيدي الاحتلال الفرنسي. ومنذ هذا التاريخ تحولت إلى مركز للعمل الخيري حتى سنة 1901م. وخلال هذه السنة كذلك حولها الاحتلال إلى حانة للمعمرين ودام ذلك إلى غاية حصول الجزائر على الاستقلال. وبعد هذه الفترة حُولت إلى مقهى، وبقيت على هذه الحالة إلى أن تم تصنيفها بتاريخ 03/06/ 1996م كمعلم تاريخي وأثري (أنظر الصورة رقم 2).

تعرضت هذه المنشأة إلى تغيير رهيب خاصة في فترة الاحتلال الفرنسي، إذ تم تهديم جناح بأكمله لتسهيل شق طريق بالمدينة، ذلك ما أفقدها تخطيطها المعماري الأصلي وأثر كثيرا على عناصرها المعمارية، وبعد فترة الاستقلال تم ترميمها خلال سنة 2011م، حيث اكتملت الأشغال خلال سنة 2012.

**2. 4. حمّام البركة**

يتوسط هذا الحمّام مدينة معسكر، وهو ملاصق للجامع الكبير، وبالضبط عند شارع بوقصري الطاهر. لقد وجدنا صعوبة كبيرة في تحديد مؤسسه وتاريخ بنائه، وهذا نظرا لعدم وجود لوحة تأسيسية تشير إلى ذلك، كما أن مختلف المصادر لم تذكره، لكن حسب ما ذكره مالكه الحالي أنّ تاريخ بنائه يعود إلى سنة 1753م وهي معلومة غير مؤكدة تفتقد إلى المصداقية لعدم وجود ما يثبتها، فحسب ما جمعناه من روايات شفوية تشير كلها إلى أنّ بانيه هو الباي محمد الكبير (أنظر الصورة رقم4).

**2. 5. حمّام القرشالي**

يتواجد هذا الحمّام في رحبة باب علي وبالضبط في شارع الأمير عبد القادر، يحمل الترقيم البلدي19. يُعرف عند سكان رحبة باب علي باسم حمّام "**القرشالي**"، وقد سُميّ بهذا الاسم نسبة إلى العائلة التي شيّدته، أما بالنسبة للسجلات العقارية الفرنسية لسنة 1907م فهو مسجل باسم الحمّام الموري (bain-maure). (أنظر الصورة رقم 5).

بُني هذا الحمّام من طرف عائلة القرشالي، التي تعود أصولها إلى منطقة بني ميزاب، وفي سنة 1912م بيع إلى عائلة بن سفير إبراهيم ولد الوهراني. أما عن تاريخ تأسيسه فهو غير معروف بالضبط، وهذا نظرا لعدم وجود لوحة تأسيسية تشير إلى ذلك، لكن حسب ما ذكره لنا المالك الحالي للحمّام أنه بُني في أواخر العهد العثماني من طرف عائلة القرشالي، وهو يعتبر ثاني أقدم حمّام بعد حمّام البركة السابق الذكر.

**2. 6. حمّام حمزة**

يقع حمّام حمزة في رحبة باب علي، وبالضبط في شارع بن دادة مصطفى في وسط مجموعة من البنايات الخاصة. كان يُعرف هذا الحمّام عند سكان رحبة باب علي باسم حمّام "**الحاج سعيد ماسري**" نسبة إلى مالكه الأول، ثم اشتهر بعد ذلك عندهم باسم حمّام "**حمزة**".

بُني هذا الحمام من طرف "**الحاج سعيد ماسري**" وهو من بني ميزاب، حيث أنه مات ولم يخلّف من يرثه، لذلك جعله وقفا لله، ومداخيله حبسا على الفقراء من المسلمين. أما عن تاريخ تأسيسه فهو غير معروف

بالضبط وهذا نظرا لعدم وجود لوحة تأسيسية تشير إلى ذلك، لكن حسب المعلومات التي ذكرها لنا مالكه الحالي أنه بُني خلال القرن الثامن عشر.

**2. 7.حمّام الباي**

يتواجد هذا الحمّام في وسط مدينة معسكر، وبالضبط في نهج محمود مقابلا لشارع المسرح الجهوي. كان يُعرف باسم حمّام "**الباي**"، ثم غُيّر اسمه بعد الاستقلال تحت اسم حمّام "**الشفاء**"، وبعد ذلك باسم "**الازدهار**". يكتنف تاريخ تأسيسه ومؤسسه غموض كبير ولكن حسب الوثائق التي بحوزة ملاكه فهو يعود إلى الفترة العثمانية[15]، ويرجح بنائه إلى سنة 1789م، وهي الفترة التي حكم فيها الباي محمد الكبير بايلك الغرب (1779- 1799م)، ولعل تسميته بـ "**حمّام الباي**" التي اتخذها في بداية الأمر تزيد من احتمال بنائه من طرف هذه الباي، كما أنّ "**ابن سحنون الراشدي**" ذكر أن هذا الباي أنشأ مباني كثيرة في المدينة وحبسها على جامعه الأعظم ومدرسته، فمنها ما قام بذكره ومنها ما لم يذكره وذلك في قوله: "...**وبنى له فرنا وغير ذلك تكفي غلات أحباسه جميع وظائفه ولوازمه...**"[16]. أما عن وضعه الحالي فهو ملك لعائلة "**وذان محمد**"، وهو مغلق بسبب نزاع بين الورثة (أنظر الصورة رقم 6).

**3. تصميم المباني المدنية في مدينة معسكر**

كان تصميم المنازل وفق الامتداد الأفقي شائعا في مدينة معسكر منذ الفترة العثمانية، حيث كانت تكثر المساحات الفارغة من جهة، وقلة السكان من جهة أخرى، لكن بعد أن عرفت المدينة اكتظاظا بالسكان أدى إلى نمو المدينة، وتقلص المساحات المخصصة للبناء، وبالتالي كلما نمت المدينة وازدادت كثافتها السكانية كلما ضاقت بهم وانحصر البنيان في داخلها أفقيا، ذلك ما كان يؤدي بالمهندس المعماري إلى الارتفاع بالوحدات السكنية في صورتها العمودية كحل عمراني ومعماري لتناقص الفراغات وانعدام الفضاءات داخل الأسوار، لدرجة لم يكن ممكنا معها الحفاظ على المساحات الخضراء من حدائق وبساتين، ومن جهة أخرى فإن الارتفاع بالمبنى لم يكن مسموحا له أن يتجاوز ارتفاع أسوار المدينة، وهو ما كان يؤدي أمام النمو الأفقي والعمودي للوحدات السكنية إلى اكتظاظ المدينة بالمباني، حيث نتج عنه انفجار عمراني أخرج المدينة عن أسوارها وامتد خارج أسوارها[17]، هذا ما عرفته مدينة معسكر حيث وصلت البناءات إلى غاية حدود الأسوار الخارجية، الأمر الذي دفع الباي وإدارته للبناء في فحوص المدينة والسماح للسكان للبناء فيها، ما نتج عنه تَكَوُّن ما يعرف بالرحبات التي بلغ عددها خمس رحبات[18].

ورغم هذه الإجراءات الإدارية للقضاء على مشكلة الاكتظاظ، إلاّ أنه مع مرور الزمن دفع بالمهندسين المعماريين إلى تغيير نمط وطريقة البناء، فتحول الامتداد الأفقي إلى التركيب العمودي الذي يتطلب التوسع على حساب الطابق الأرضي، بحيث أن كثرة الأفراد في الأسر وغلاء المساحات الأرضية المتبقية من المدينة، دفع الأهالي إلى التفكير في بناء الطوابق العليا باعتباره الحل الوحيد والمناسب الذي يرفع الحرج عنهم، ويوفر لهم الاتساع ويخرجهم من المحنة والصعوبة التي يعيشون فيها.

أما عن فكرة تعدد الطوابق في البيوت والارتفاع بالوحدات السكنية عموديا، قد عرفت في الحضارات القديمة كتكريت ومصر[19]، حيث بينت ذلك الحفريات وأعمال التنقيب التي أجريت في الفسطاط بين عامي 1970/1964م[20]، وفي بلاد الرافدين بين عامي 1927/1926م، والتي أكتشف فيها مباني ذات طابقين بسلم داخلي، وغرف تتجمع حول حوش مفتوح[21]، وكذلك المجسمات والرسوم الجدارية التي نشاهدها في قبور الفراعنة وتواصل ذلك في العهد الروماني، والتي تظهر في الرواق المحمول على الأعمدة الذي كان عنصرا هاما في العمارة الرومانية يحيط بفناء البيوت، حيث عثر عليه مستعملا في مدينة "**إبلا**" في أواخر القرن الألف الثالث، وفي "**ماري**" أوائل الألف الثاني قبل الميلاد[22].

تأثر مسقط البيت العربي الإسلامي بذلك، لتلاؤمه مع الحياة الدينية والاجتماعية والمناخية السائدة، ويلاحظ في هذا التصميم الانتماء إلى الداخل[23]، ويتجلى ذلك في المساكن والقصور الإسلامية التي بنيت في فترات مختلفة، حيث بدأت تظهر جذورها الأولى منذ حوالي منتصف القرن 1هـ/7م بالفسطاط في مصر وفي مساكن بلاد الرافدين[24]، وكانت العملية مستهجنة آنذاك، ومع حلول القرنين الثالث والرابع الهجريين الموافق للقرنين التاسع والعاشر الميلاديين، ازدادت الظاهرة وضوحا ليصل عدد الطوابق في العصر الفاطمي في مصر إلى أربع طوابق كحد أدنى، ولا شك أن المدن الكبرى كدمشق وبغداد والقيروان وفاس قد شهد نفس الأحوال[25]، كما تجسد ذلك في عمارة سدراتة[26]، والقصر الزيري بمدينة أشير وقصور قلعة بني حماد التي تتألف من صحن حوله الأجنحة[27]. ويفسر عدم تعدد الطوابق في المساكن الإسلامية في العصور المبكرة إلى التزام المسلمين بسياسة التقشف، والبعد عن التعالي في البنيان، التي قد تخلق نوعا من الغيرة والحسد بين الأفراد، أي بين الغني والفقير، وكذا تجسيد مبدأ احترام الجار وعدم كشف عوراته، وذلك ما أوصى به الرسول ﷺ.

أما عن إقبال المسلمين على تعدد الطوابق في المساكن، فيعود ذلك إلى تأثر المسلمين بالبلدان الأخرى، خاصة بعد توسع رقعة الدولة الإسلامية على إثر الفتوحات، والتي كانت فيها العمائر تتكون من أكثر من طابق، وهذا ما حفز المسلمين إلى إتباع نفس النمط في البناء، كما أن ازدياد عدد السكان واكتظاظ المدن وغلاء أسعار الأرضيات المخصصة للبناء ومحدودية دخل الفرد، دفع بالبنّاء المسلم إلى التفكير في ذلك، لأنه الحل الأنسب للقضاء على هذا المشكل.

إن علاقة التخطيط بالمنظومة القيمية للمجتمع الإسلامي، فقد نظمتها رؤية إسلامية مقتبسة من القرآن والأحاديث، واجتهادات الفقهاء والأئمة والعلماء والتنظيمات المختلفة وتنظيمها مرتبط بتنظيم المجتمع وتنظيم الحياة الاجتماعية وحصر مظاهرها، فهناك آيات كثيرة وأحاديث عديدة تحث المسلم على احترام حرمة غيره في النطاق العام وفي نطاق الجوار، وأن يقف في حريته عند بداية حرية غيره، فلا يتطلع إلى ما لغيره ولا يتجسس ولا يغمط حق غيره[28]، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ**﴾[29].

جاءت فكرة الارتفاع بالمبنى لعدة أسباب: منها أن الإسلام دين حضري، مدني تستقطب فيه المدن والعواصم الفعاليات الإنسانية الفكرية والصناعية والحرفية مما كان يؤدي إلى تمركزها، فيزداد عدد سكانها على مرّ العصور، وزاد في تلك الكثافة الاستقرار السياسي وما نتج عنه من تطور اقتصادي وعلمي وصحي قلت فيه عدد الوفيات، قياسا بالعصور السابقة عن الإسلام، كما كانت تتحكم في تطور المسكن مجموعة من القيم الدينية والصحية والمناخية[30]، وذلك ما عرفته مدينة معسكر، فلكونها تعد عاصمة لبايلك الغرب أصبحت قِبلة للتجار والنخب ومختلف شرائح المجتمع، أضفى ذلك عليها رخاءً اقتصاديا واستقرارا سياسيا خاصة في عهد الباي محمد الكبير، الذي عرفت المدينة في عهده نموا عمرانيا ومعماريا لم يسبق له مثيل، ودليل ذلك أن جلّ المعالم المتبقية تعود إلى فترته.

والملفت للانتباه هو أن المساكن في مدينة معسكر لا تتجاوز أكثر من طابق في البناء والاكتفاء بطابق واحد فقط وأعدادها قليلة، وأكبر الظن أن ذلك يعود إلى توفر مساحات كافية للبناء داخل أسوار المدينة، كما يعتبر العامل الطبيعي أحد الأسباب الرئيسية في ذلك، لأن موقع المدينة مرتفع، مما جعل مناخها شديد البرودة خاصة في فصل الشتاء ومن جهة أخرى ربما يعود إلى محدودية الإمكانيات المادية للأفراد، لأن أغلب سكانها فلاحين، وهذا ما جعل مساكنها متشابهة، بحيث أنها تظهر ككتلة واحدة على مستوى واحد (أنظر المخطط رقم 01).

## 4. المخططات المعمارية للمنشآت المدنية في مدينة معسكر

### 1.4. المساكن والدور

تم تخطيط المنشآت المدنية بالجزائر خلال الفترة العثمانية على شكل أربعة أجنحة، تتكون من طابق أو أكثر حول فناء تتوسطه نافورة[31]، وتشرف عليه المرافق المعيشية والوحدات السكنية المختلفة، والتي تتخللها العناصر المعمارية بمختلف أنواعها من عناصر الحمل والتدعيم والارتكاز، والتي لها دور كبير في الحفاظ على توازن المبنى وتوزيع أقسامه بطريقة منظمة، بعيدة كل البعد عن الفوضى وبشكل يراعي التناظر والتناسق في التوزيع.

والملاحظ على مباني ودور مدينة معسكر أنها خضعت لهذا التخطيط، حيث اتخذت في تخطيطها شكل المربع والمستطيل، وأحيانا بشكل غير منتظم، وذلك يعود إلى طبيعة المكان أو الموضع الذي بنيت فيه الدار في الشارع أو الحي المرتبط تخطيطه (مستقيم أو منحرف مائل)، وكذا من حيث المساحة المخصصة للبناء، بالإضافة إلى التغييرات التي أحدثها الاحتلال الفرنسي عليها، وعموما فهي تتكون من طابقين- طابق أرضي وعلوي- تتوسطها أفنية محاطة بأربعة أروقة، تفتح عليها مداخل ونوافذ المرافق المعيشية والوحدات السكنية بطريقة التناظر والتقابل والتشابه في المظهر العام، ومُزينة بأعمدة متنوعة تحمل عقودا لها نفس النمط.

فالمخطط العام لدار الباي جاء شبه مربع، مقاسات أضلاعه غير منتظمة يتكون من أربعة أجنحة بواجهات بسيطة المظهر، يتوسطها فناء مركزي يحتوي على حوض بداخله نافورة، كما تحيط به مجموعة من الأعمدة عليها تيجان تحمل عقود موحدة النمط، وفي جوانبه أربعة أروقة تتوزع عليها الوحدات السكنية والمرافق المعيشية، والملاحظ عليه هو كثرة النوافذ المفتوحة على الخارج، وذلك ما يتنافى مع تعاليم الدين الإسلامي، لكن ذلك يعود إلى التغييرات التي أدخلها الاحتلال الفرنسي عليه، لأن المبنى حُوِّل إلى مركز إداري خاص بالجيش الفرنسي، كما أنه يحتوي على مرافق كانت عبارة عن مخازن حُولت خلال فترة الاحتلال إلى اسطبلات، محاطة بسور خارجي يحمي المبنى من أي اعتداء خارجي (أنظر المخطط رقم 02).

أما بالنسبة لدار الميزابي فإن مخططها العام جاء على شكل شبه مربع، تظهر منه واجهتين فقط، أما الواجهتين المتبقيتين فهما متلاصقتين مع عمائر أخرى، وهي تتكون كذلك من أربعة أجنحة بفناء مركزي يحده أربعة أروقة تتوزع عليه المرافق المعيشية والوحدات السكنية، كما زودت الواجهة الرئيسية في الطابق العلوي بمشربية تطل على الشارع، وهي عبارة عن شرفة بارزة عن جدار البيت، تؤدي دور النافذة في الطابق العلوي، حيث يرى من في داخل المسكن خارجه من دون أن يُرى بفضل فتحات المشربية الضيّقة، وهي عنصر يحافظ على حرمة البيت، كما أدت وظيفة أخرى وهي تبريد ماء الجِرار التي توضع فيها ولعلها منها أخذت اسمها، كما أنها تخفف قوة الضوء الداخل إلى البيت منعكسا أو مباشرا مع السماح للهواء بتخللها مصفى ممّا يحمله من غبار [32].

وفيما يخص مخطط المحكمة فهو في الأصل مربع الشكل، يتكون من أربعة أجنحة بواجهات بسيطة المظهر، يتوسطها فناء مركزي يحتوي على حوض مزود بنافورة، وتشرف عليه مجموعة من الأعمدة عليها تيجان تحمل عقود موحدة النمط، وفي جوانبه أربعة أروقة تتوزع عليها المكاتب الإدارية (أنظر المخطط 03).

وما يُلاحظ أنّ هذا المخطط الأصلي طرأ عليه تغيير خلال فترة الاحتلال، إذ أن المحكمة عرفت إزالة جناح بأكمله ألا وهو الجناح الشرقي، وهذا من أجل شق طريق ينفذ إلى وسط المدينة كما ذكرناه سابقا، ودليل ذلك هو وجود قطع واضح للعيان لعقود الرواقين الشمالي والجنوبي الذي كان يمتد لعقود الرواق الشرقي، بالإضافة إلى نقص أعمدة الرواقين، كما نلاحظ أن الطابق العلوي غير مطابق لمواصفات الطابق الأرضي، وذلك من حيث عدم وجود الأعمدة والعقود التي تشكل الأروقة المسقفة، وهذا ما يطرح عدة تساؤلات حول هذا الشكل، فالمتعارف عليه من خلال مخططات المنشآت العثمانية بمختلف أنواعها أنها كانت تبنى في أغلب الحالات بطريقة التطابق، أي مواصفات الطابق الأرضي تتكرر في الطابق العلوي من حيث شكل الأروقة، ذلك ما يرجح فرضية قيام سلطات الاحتلال بإزالة الأعمدة والعقود التي ترفع سقف أروقة الطابق العلوي، كما نلاحظ فتح عدد كبير من النوافذ في الطابق الأرضي نحو الخارج، وهو ما يتعارض مع قوانين الهندسة المعمارية الإسلامية، التي تحث على فتحها نحو الداخل، وإن تم ذلك فهي صغيرة وضيقة وأغلبها تكون في الطابق العلوي.

وفيما يخص الوحدات السكنية بمفهومها العام فهي تتكون من قسمين رئيسيين في المبنى ونجد لكل قسم مميزاته الخاصة، وهذان القسمان هما الحجرة والغرفة، حيث أن الحجرة يكون موقعها دائما في الطابق الأرضي، أما الغرفة فيكون موقعها دائما في الطوابق العلوية، وكلاهما يعتبران كمكان للسكون في البيت، حيث أن منها ما تتخذ لاجتماع أهل الدار، وأخرى للأكل وللنوم ومنها ما يخصص للاستقبال والضيوف.

لقد وجدت في المنازل الإسلامية ولاسيما في العصر العثماني أكثر من قاعة في المنزل الواحد، ومن هنا أطلقت عليها الحجرات للسفلية والغرف للعلوية تمييزا لها عن بعضها البعض[33]، ويكون توزيع الوحدات السكنية حسب ما تفرضه العوامل الطبيعية، حيث أن حجرات الطابق الأرضي لقضاء فصل الصيف لتوفر الرطوبة، وغرف الطابق العلوي لفصل الشتاء، ذلك لكونه أكثر استفادة من أشعة الشمس مما يبعث الدفء إلى الغرف، كما يخصص منها جناح خاص لاستقبال الضيوف يسمى "**البرانـي**" أو المضافة التي تعرف بـ "**السلاملك**"، وجناح للسيدات وهو القسم الداخلي الذي يعرف بـ "**الحرملك**"[34]، وفي معظم الأحيان نجد الطابق العلوي مخصص للحياة العائلية[35] وكل هذه العوامل جعلت النساء خاصة يفضلن الطابق العلوي على الطابق الأرضي.

وانطلاقا من هذه المعطيات نستنتج أن التصميم الداخلي للغرفة يأتي حسب الوظيفة التي تؤدى فيها، وكلها تقريبا تشترك في خاصية واحدة تتمثل في الشكل المستطيل، فقد تمكنت الدراسات من ضبط بعض المقاييس التي يكون فيها العمق أكبر من العرض[36]، كما أن توزيعها يكون حول الصحن من جهاته الأربع، وكذلك في تخطيطها الطولي تبعا للأروقة، جعل التصميم العام للمسكن يفرض هذا المقياس، وذلك يعود إلى عدة اعتبارات وعوامل فرضت هذا التصميم منها تلاصق البيوت مع بعضها البعض وبالتالي ضيق المساحات المخصصة للبناء والتوسع، وجعلها في اتجاه واحد دون الإخلال باستقامة الشارع بالإضافة إلى الطول المحدود للأعمدة والألواح الخشبية المستخدمة في التسقيف والتي تتراوح أطوالها غالبا ما بين 2 و2.50م[37]، كما أن هذه الوحدات إذا كانت ذات طول وعرض كبيرين تكلف صاحب البناء أموال باهظة في تهيئتها وخاصة في تسقيفها، كما أنها تكون معرضة للتشقق والانهيار إذا لم تراعَ فيها شروط البناء، وهذا ما جعل البناء المسلم يستغني عن ذلك ويختار الاستطالة المحدودة حسب توفر المواد اللازمة والابتعاد عن التكلف.

الملاحظ من خلال دراسة الوحدات السكنية في دور مدينة معسكر أن المعمار أو البناء لم يجعل مقاسات الحجرات والغرف متشابهة، حيث أنها اختلفت فيما بينها وذلك حسب الوظيفة التي تؤدى فيها، كما أن اهتمامه انصب على الغرف في الطابق العلوي دون الحجرات في الطابق الأرضي، حيث نجدها أكثر اتساعا وحجما ومزينة بمختلف العناصر المعمارية كالخزائن الجدارية والزخارف الفنية بطريقة متقنة، خاصة منها البلاطات والمربعات الخزفية، مما أضفي ذلك عليها جمالا وبهاءً، وهذا دليل واضح على مكانة غرف الطابق الأول عند الأسر، حيث جعل منها كمكان لاستقبال الضيوف والنوم والاجتماعات وأحيانا للأكل، أما الحجرات فلم يوليها اهتماما كبيرا، إذ أن مظهرها العام جاء بسيطا فأحيانا مزدانا بالزخرفة وأحيانا أخرى دون ذلك.

من خلال دراسة مخططات المساكن والدور العثمانية بالجزائر لاحظنا أن هذه المباني منفتحة نحو الداخل، وذلك ما يتلاءم مع تعاليم الدين الإسلامي واتجاهاته الاجتماعية، وخاصة فيما يتعلق منها بالمرأة[38]. بالإضافة إلى أن عامل المناخ الذي كان له دور كبير في تصميمات هذه المباني، حيث يظهر ذلك في سقوفها التي جعلت على شكل جمالوني مائل لقسوة المناخ في مدينة معسكر، خاصة في فصل الشتاء التي تعرف تساقط الأمطار والثلوج، وهو ما جعلها خالية من السطوح التي نشاهدها بكثرة في مباني مدينة الجزائر خلال العهد العثماني.

### 2.4. الحمّامات

تتكون حمّامات مدينة معسكر معماريا من قسمين متلاصقين عمارة، منفصلين استعمالا، لكل منهما مدخله الخاص، أول هذين القسمين هو الحمّام نفسه، المكان الذي يؤمه المستحمّون، والذي يدخله الزبائن من باب ضيق يكون منكسرا في بعض الأحيان مثلما نجده في حمّام حمزة، وذلك لعدة أسباب منهما: ما يتعلق بالجانب الصحي وهو حماية المستحمّين من التيار الهوائي، الذي قد يسبب الإصابة بالأمراض، خاصة بعد الاستحمام حيث يكون الإنسان شبه عاري، وكذلك الحفاظ على الجو الداخلي للحمّام، خاصة وأن المدخل مزود بباب خشبي، كما أنه يحجب المستحمين عن أعين المنتظرين، سواء كانوا رجالاً أو نساءً تفاديا لأي إحراج خاصة في وجود الأقارب، أين يكون الاحترام والحياء من الظهور أمام بعضهم بشكل عاري.

عرفت الحمّامات العامة مخطّطين اثنين من حيث الشكل: الأول بيزنطي طغت فيه القاعة الدافئة على ما سواها، وكانت بثمانية أضلاع أو باثنى عشر، أما المخطّط الثاني فهو طولي تصطف فيه قاعات مستطيلة تحتل فيه الأولى بدل الدافئة، وتميّزت به العصور المبكرة، ولكن ابتداءً من القرن التاسع للهجرة الخامس عشر للميلاد أصبح الحمّام العثماني النموذج المحتذى به، حاملا معه بعثا للإرث البيزنطي الأصيل ولكن بمسقط طولي، حيث اكتفى في أكثر الأحيان بقاعات ثلاث: "**البراني**" و"**الوسطاني**" و"**الجواني**"[39].

وعموما فهو ينقسم بدوره إلى أربعة أقسام:

#### 4. 2. 1. قاعة الاستقبال

تُعرف كذلك باسم "**المحرس**" في تونس وقسنطينة[40]، ونجدها في غالب الأحيان تحتوي على مقاعد أو مصاطب حجرية مخصصة لجلوس المستحمين، مثلما نجده في حمّام البركة والقرشالي وحمزة، أما من ناحية التسقيف فنلاحظ أن حمّام القرشالي قد انفرد في تسقيفه بالأقبية النصف الأسطوانية بالمقابل نجد سقف كل من حمّام البركة والقرشالي مسطح.

#### 4. 2. 2. القاعة الأولى الباردة

تُخصص هذه القاعة لخلع الملابس، حيث أنها مزوّدة بخزائن وطاقات غير نافذة توضع فيها الملابس والمناشف ولوازم المستحمين، وتسمى في المشرق "**المشلح أو المشلّح**"، وفي مصر ومراكش "**المسلخ**"، فهي محاطة بمقاعد خشبية كبيرة مثلما نجده في حمّام البركة أو حجرية مثلما نشاهده في حمّام حمزة، وتتصل هذه

القاعة في كلا الحمّامين بالمراحيض التي تليها بواسطة ممرّات متعرجة على جانب من الطول للفصل بين الجوين الداخلي والخارجي.

اختلف تخطيط هذه القاعة في حمّامات مدينة معسكر، فنجدها في حمّام البركة مستطيلة الشكل بسيطة في مظهرها العام، كانت تحتوي على سدة علوية مخصصة لنزلاء الحمّام من المسافرين وهذا ما تتميز به حمّامات قسنطينة في كل من حمّامي سوق الغزل وبن البجاوي، بينما نجدها في حمّام القرشالي كبيرة الحجم غير منتظمة في شكلها العام يتوسطها فضاء مربع مزين بأربعة عقود وأعمدة وهي مشدودة إلى بعضها البعض بقضبان حديدية، تستعمل كذلك لوضع المناشف. لعل أهم ميزة تميزت بها هذه القاعة هو احتوائها على موقد لتحضير الشاي للزبائن وهو ما نجده في حمّام سوق الغزل بقسنطينة[41]، أما عن سقفها فهو من الأقبية النصف أسطوانية. وفيما يخص حمّام حمزة فهي الأخرى اتخذت شكلا خاصا بها، فهي مستطيلة الشكل كبيرة الحجم تحتوي على سدة يظهر من خلال مواد بنائها أنها حديثة البناء، وهو الشكل ذاته الذي تظهر عليه قاعة حمّام الباي (أنظر الشكل رقم 4 والصورة رقم 6).

### 4. 2. 3. القاعة الثانية الدافئة

نجدها أكثر دفئا من الأولى تخلع فيها الملابس شتاءً، وتسمّى في فاس "**البراني**"، وفي دمشق "**الوسطاني– البراني**"، وفي القاهرة "**البيت الأول**"[42]. وتتميز هذه القاعة بحجمها الصغير وشكلها البسيط في حمّام البركة، وهي تحتوي على حوض مائي، أما بالنسبة لحمّام القرشالي فتظهر كبيرة الحجم بالمقارنة مع سابقتها يوجد فيها مصاطب حجرية وحوض مائي وفتحات للإضاءة والتهوية، بينما نجد سقفها مشكل من الأقبية النصف أسطوانية، وفيما يخص حمّام حمزة والباي فهما صغيرتان جدا وبسيطة في مظهرها العام.

### 4. 2. 4. القاعة الثالثة الساخنة

تُعرف كذلك بـ: المحّم أو العرّاقة، حيث يتصبّب العرق، فالحرارة مرتفعة فيها، وجوّها يعبق بالبخار وبالعطور المتصاعدة من الصابون المطيّب ووسائل الاستحمام الأخرى فهي تعتبر أهم قاعة بالحمَّام، حيث أن تسميتها تختلف هي الأخرى من منطقة إلى أخرى، فنجدها تسمى في تونس "**الزقاق**"، وفي القاهرة "**الحرّارة**"، وفي دمشق "**الجواني**"، وفي فاس "**الداخلي**"، وهذه القاعة هي مكان الاستحمام الحقيقي، فيها مخادع أو خلوات أو مقصورات وتكون مجهزة بمقاعد حجرية أو مصاطب ومغاطس وأجران من حجر أو رخام، تعدّل فيها حرارة المياه التي تصل إليها من حنفيات مركزة فوقها يجري الماء البارد من بعضها إلى بعضها الآخر[43].

يظهر تخطيط هذه القاعة بشكل متشابه في كل من حمّامات البركة وحمزة والباي، فقد اتخذت الشكل المربع الذي تتوسطه مربعة تُعرف بـ "**السرّة**"، وسقفها من قبة مضلعة محمولة على أربعة عقود نصف دائرية ترتكز على عمود متوج موضوع فوق السرّة، كما نجد في هاتين القاعتين خلوات ودخلات غائرة في الجدران

تشبه الأواوين، لكل منها خاصية تشتهر بها مثل "**بيت العروسة**" المخصصة للمرأة المتزوجة حديثا، وهي من التقاليد المحلية التي نجدها كذلك في حمّام "**الشيخ**" بمدينة مليانة[44]، وكذلك منها ما هو مخصص للاغتسال.

أما القاعة الساخنة في حمّام القرشالي فشكلها يختلف عن سابقتها، فهي مربعة الشكل تحتوي على رواقين مسقوفين بقبوين نصف دائريين، ويتوسطهما فضاء مغطى بقبة نصف كروية تقوم على حنايا ركنية.

والملاحظ أن كل القاعات الساخنة تميزت بميزات مشتركة منها احتوائها على أحواض للاستحمام وفتحات مزججة لتوفير الإضاءة ومصاطب حجرية للجلوس، وكذلك استخدام القبة في التسقيف، فهي ميزة عرفت كذلك في حمّامات الجزائر خلال العهد العثماني منها حمّامي "**سيدنا**" (القرن 10هـ/16م) و"**الجيش**" (القرن 11هـ/17م) بالجزائر العاصمة[45]، وكذلك في حمّام "**بن البجاوي**" في قسنطينة[46] وحمّام "**الشيخ**" بمليانة (القرن 11هـ/17م)[47] (أنظر الشكل رقم 5 والصورة رقم 5).

أما القسم الثاني فهو مخصص للخدمات التقنية والتشغيل، ويسمى في الشام الخزانة وفي تونس الفرناق ويضم الموقد والمرجل، المعروف بالحلّة في الشام والنحّاسة في تونس، وفيه توجد خزّانات المياه الباردة والحارة، تندفع منه لتتوزع داخل الحمّام بواسطة سواقي أو أقنية فخارية أو رخامية أو رصاصية أو خشبية، حسب دورها تجري المياه مكشوفة، أو تحت الأرض أو في الجدران. وتصل إلى الحمّام من شبكة المدينة أو من بئر ترفع مياهها بآلات تديرها حيوانات الجر، ثم تنصرف المياه المستعملة بواسطة "**بلاليع**" ومجارير خاصة.

ومن هذا القسم أيضا تتم تهوية الحمّام، إذ يفصل بين القسمين جدار حاجز رقيق تتخلله فتحات تسمح بدخول البخار إلى قاعة الاستحمام، بينما نجد الجدران الأخرى سميكة جدا، لتساعد على حفظ الحرارة، ويتم تسخين الماء بوقد الزبل والحطب اللذان يخزنان بمستودعات ملحقة. وقد أقيم مخزن هذه الحمّامات على أرض أقل انخفاضا من مستوى الحمّام، لتمكين الدخان والبخار من المرور تحت بلاط الحمّام واستغلاله ليسهم في تدفئته[48].

هذا الوصف ينطبق تماما على حمّامات معسكر إلاّ في بعض التفاصيل الصغيرة، ذلك ما وقفنا عليه في حمّام حمزة الذي من حسن حظنا أننا شاهدنا مكان الفرناق بكل مكوناته الأصلية وبالتفصيل قبل إزالته وتعويضه بآلات حديثة، لأننا زرناه وهو في حالة ترميم، أما فرناق حمّامات البركة والقرشالي والباي فقد أحدثت عليها تغييرات كثيرة إذ أنها زودت بآلات حديثة، لكن من خلال الأوصاف التي قدمت لنا فإنهم جميعا متشابهين من حيث المكونات، وكذلك من حيث الموقع فكلهم متواجدون خارج الحمّام في المستوى الأرضي، ويتكون أساسا من حجرة للفرناق وحجرات أخرى مخصصة كمخازن للحطب.

كما تشترك هذه الحمّامات من حيث وجود دهاليز أو ممرات أرضية متصلة بالفرناق مبنية من مادة الآجر، فهي مخصصة لمرور الهواء الساخن لتسخين أرضية الحمّام، وكذلك لمرور الدخان إلى المدخنة، إذ

أنها تظهر متوسطة الارتفاع ويتم تنظيفها سنويا من قبل صاحب الحمّام من الرماد، ولعل ما يتصل بالفرناق هو مخازن المياه، حيث نجد مخزن المياه في حمّام البركة بالقرب من الفرناق، لكن جلب المياه متصل مع قنوات مياه المدينة، وعند نفاذها يتم جلبها بالشاحنات.

أما حمّام القرشالي فهو يحتوي على بئر خاصة توجد بجانب الفرناق، يتم إيصال المياه إليه عن طريق مضخات حديثة، وبالنسبة لحمّام حمزة والباي فَهُما كذلك لا يحتويان على بئر، لكنهما يتزودان من قنوات مياه المدينة التي تخزن في صهاريج كبيرة موضوعة في القاعة الباردة.

**خاتمة**

توصلنا من خلال هذا البحث إلى مجموعة من النتائج نوردها على النحو الآتي:

احتفاظ مدينة معسكر بعدد معتبر من المنشآت المعمارية المدنية التي تعود إلى الفترة العثمانية، رغم حملات الطمس والتهديم التي صاحبت احتلالها من طرف الاحتلال الفرنسي.

تنوع المنشآت المعمارية في المدينة، حيث أنها جمعت بين الدينية والمدنية والعسكرية كما تأثرت في مخططاتها بالطراز المحلي والعثماني، مثلما يظهر ذلك في دار الباي والمحكمة.

تتميز دور مدينة معسكر بعدم التعقيد في تصميمها، وخضوعها للنمط الإسلامي المعروف بطابق وفناء مكشوف، ومراعاة تعاليم الدين الإسلامي في بنائها، وتأثرها بالعوامل الطبيعية في عملية بنائها، مثل جعل السقوف جمالونية والاكتفاء بطابق واحد.

تأثر دور معسكر بقصور ومساكن مدينة الجزائر من حيث التصميم العام، وبساطة عناصرها المعمارية، والاكتفاء باستعمال المواد الأقل تكلفة مثل الحجر الجيري.

اشتهرت مدينة معسكر بالحمّامات العامة، حيث تميزت بتشابه مخططاتها مع المخططات المعروفة في الحمّامات القديمة، خاصة منها الرومانية وكذلك الإسلامية، ومراعاة كل الشروط الضرورية لصحة الأبدان وراحة الأذهان.

**ملاحق**

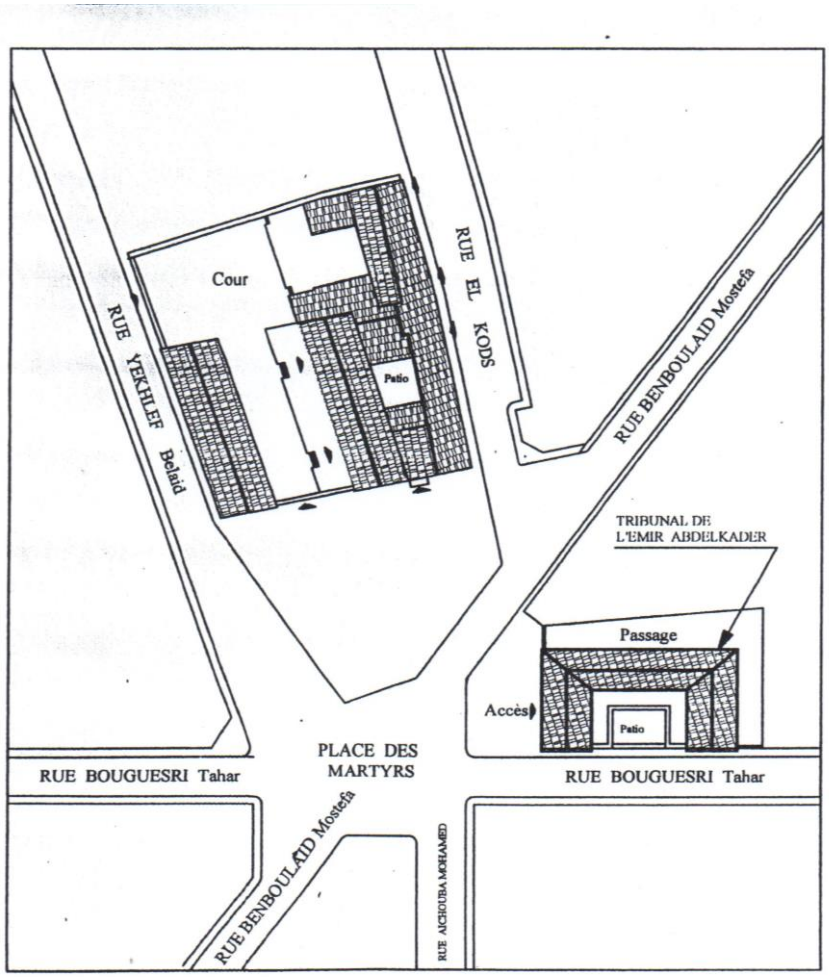


PLAN DE MASSE ECH:1/500

**شكل رقم (01): مخطط الكتلة لكل من دار الباي والمحكمة الرئيسية**

**(عن مديرية الثقافة لولاية معسكر)**

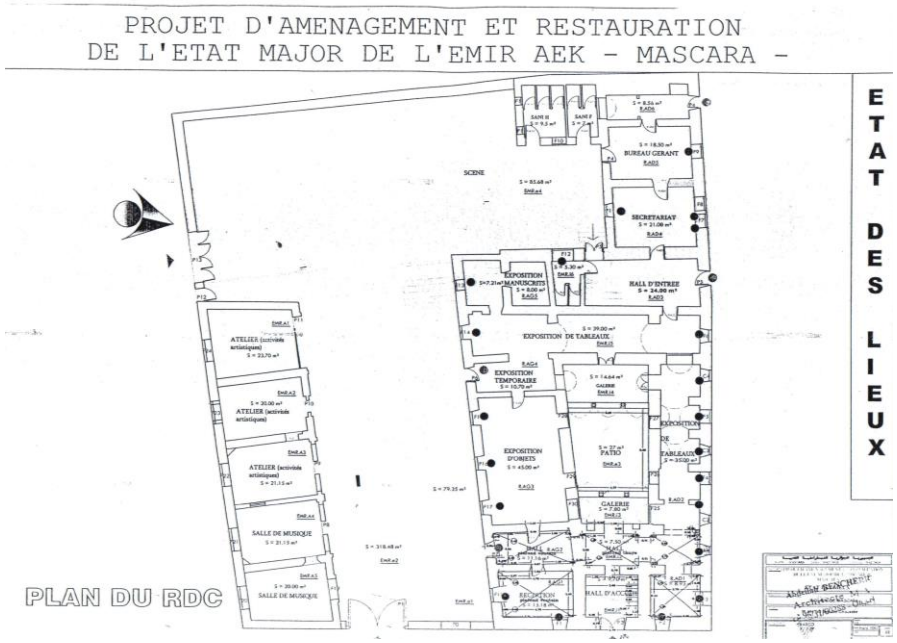


**شكل رقم (02): مخطط الطابق الأرضي لدار الباي**

**(عن مديرية الثقافة لولاية معسكر)**

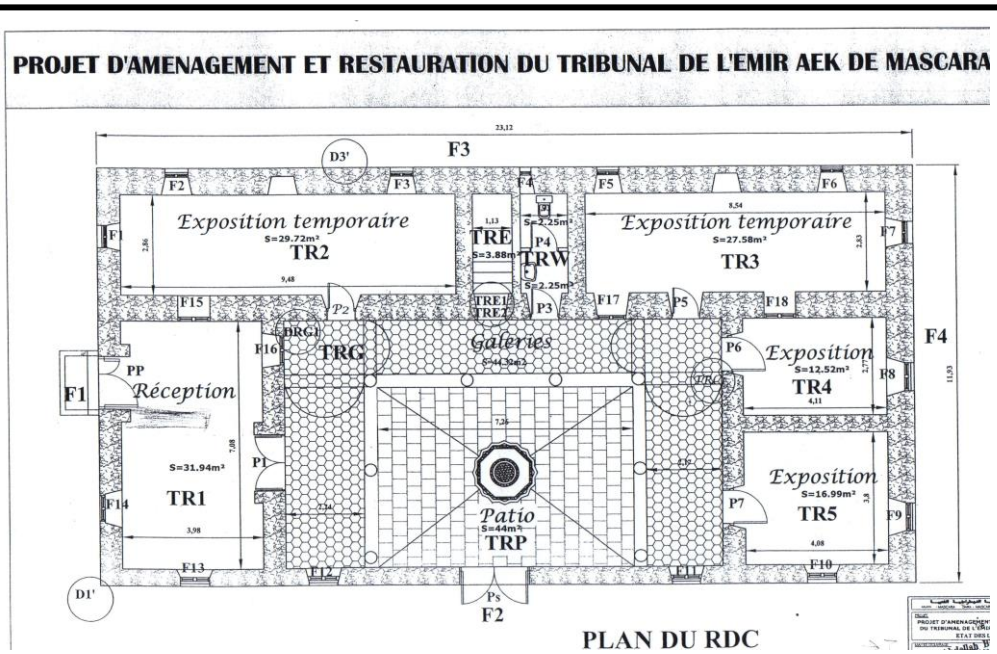


**شكل رقم (03): مخطط الطابق الأرضي للمحكمة الرئيسية**

**(عن مديرية الثقافة لولاية معسكر)**

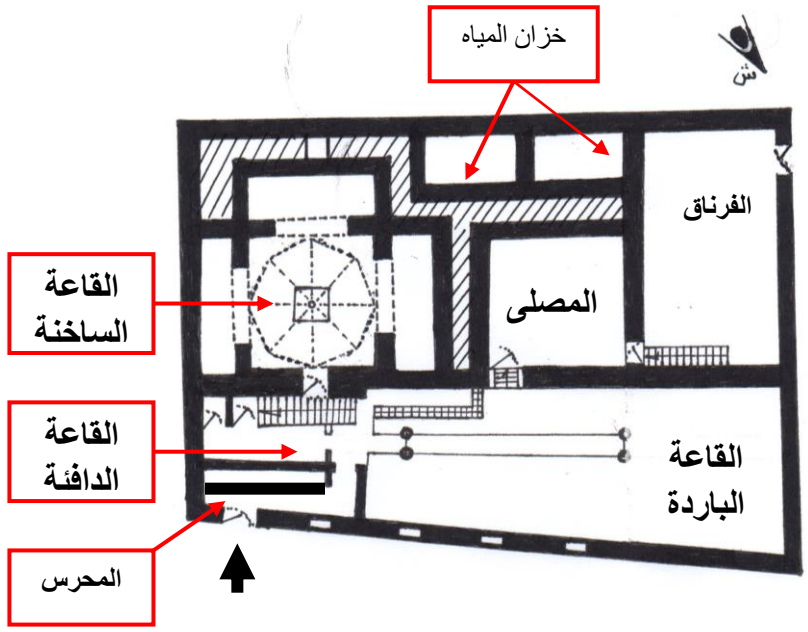


السلم: 1/100

شكل رقم (4): المخطط الحالي لحمّام البركة (من عمل الباحث)

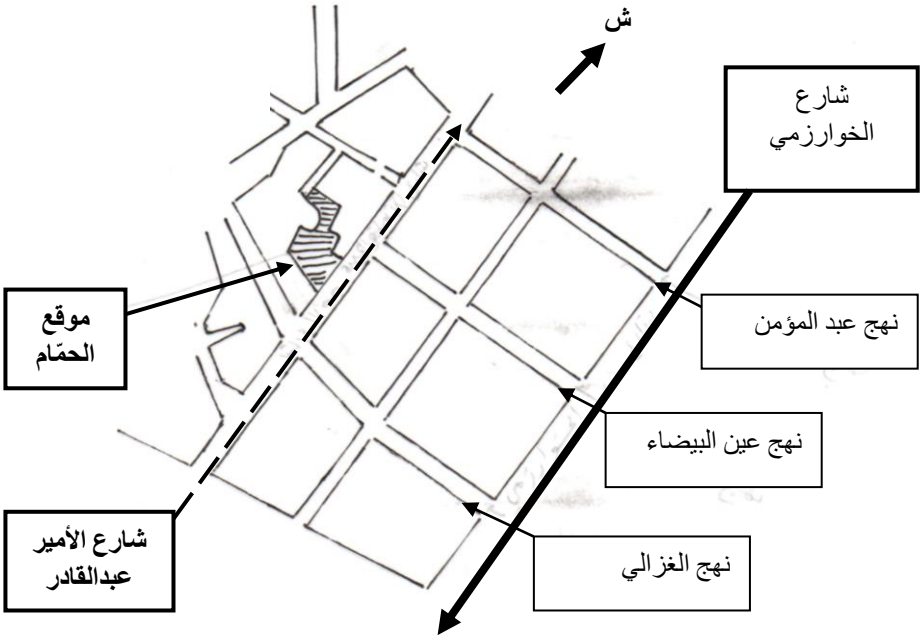


السلم: 1/2000

الشكل رقم (5): مخطط موقع حمّام القرشالي (من عمل الباحث)

الصورة رقم (1): المظهر الداخلي لدار الباي

(من عمل الباحث)

الصورة رقم (2): المظهر الداخلي للمحكمة

(من عمل الباحث)

الصورة رقم (3): فناء منزل الميزابي

(من عمل الباحث)

الصورة رقم (4): الواجهة الرئيسية

لحمّام البركة (من عمل الباحث)

الصورة رقم (5): القاعة الساخنة بحمّام القرشالي

(من عمل الباحث)

الصورة رقم (6): القاعة الباردة بحمّام الباي

(الازدهار) (من عمل الباحث)

**الهوامش:**

(1)- الريحاوي عبد القادر، **قمم عالمية في تراث الحضارة الإسلامية: المعماري والفني**، وزارة الثقافة، سوريا، 2000، ص612.

(2)- عبد الفتاح روّاس قلعه جي، **مدخل إلى علم الجمال**، ط1، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1411هـ/1991م، ص55.

(3)- عكاشة ثروت، **القيم الجمالية في العمارة الإسلامية**، دار المعارف، القاهرة، 1961م، ص92، أنظر كذلك:

- الريحاوي عبد القادر، المرجع السابق، ص609.

(4)- قاجة أحمد جمعة: **موسوعة فن العمارة الإسلامية**، ط1، دار الملتقى للطباعة والنشر، دمشق، 2000م، ص141.

(5)- إبراهيم عبد العالي محمد، **العمارة والعمران في الوطن العربي**، ط3، دار الراتب الجماعية، بيروت، 1986، ص26 أنظر كذلك:

- لعرج عبد العزيز، **المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية: دراسة أثرية معمارية وفنية**، أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1999م، ص 374.

(6)- قاجة أحمد جمعة، المرجع السابق، ص141.

(7)- لعرج عبد العزيز، "**العمران الإسلامي وعمارته السكنية، قيم دينية ودلالات اجتماعية**"، حولية المؤرخ، يصدرها إتحاد المؤرخين الجزائريين، العدد 3-4، الجزائر، 2005م، ص87.

(8)- المرجع نفسه، ص ص 90- 91.

(9)- ابن عبد الحكم، **فتوح مصر والمغرب**، تحقيق عبد المنعم عامر، لجنة البيان العرب، القاهرة، 1961، ص 148.

(10)- لعرج عبد العزيز، **العمران الإسلامي**، المرجع السابق، ص92.

(11)- محمد موسى رفعت، **الوكالات والبيوت الإسلامية في مصر العثمانية**، ط1، الدار المصرية اللبنانية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1413هـ/ 1993، ص 203.

(12)- كيال منير، **الحمّامات الدمشقية وتقاليدها**، سلسلة بلادنا، وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، سوريا، 1964م ، ص152.

(13)- محمد موسى رفعت، المرجع السابق، ص203.

(14)- كيال منير، المرجع السابق، ص152.

(15- )Archivo historicos national, Oran, Madrid campana.

(16)- ابن سحنون أحمد الراشدي، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1973، ص128.

(17)- لعرج عبد العزيز، **العمران الإسلامي**، المرجع السابق، ص88.

(18)- المزاري الآغا بن عودة، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تحقيق ودراسة يحيى بوعزيز، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990، ص357. أنظر كذلك:

- **Rapport d'ensemble sur la colonisation, situation de la ville de Mascara et du village de st André**, Mascara le 18 décembre 1852, p2, Service Archives nationales d'outre- mer, Aix En Provence, France.

(19)-لعرج عبد العزيز، **العمران الإسلامي**، المرجع السابق، ص 610.

(20)- محمد موسى رفعت، المرجع السابق، ص189.

(21)- لمعي مصطفى صالح، **عمارة الحضارات القديمة**، دار النهضة العربية، 1983، ص53.

(22)- الريحاوي عبد القادر، المرجع السابق، ص610.

(23)- لمعي مصطفى صالح، المرجع السابق، ص53.

(24)- الشافعي فريد، **العمارة العربية في مصر الإسلامية، عصر الولاة**، مج1، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1970، ص 445، أنظر كذلك: - بهنسي عفيف، **الفن الإسلامي**، ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1986م، ص321.

(25)- الشافعي فريد، المرجع السابق، ص445.

(26)- Bouruiba. R , **Cites disparues, art et culture**, Ministère de l'information, Alger, 1979, p63.

(27)- Golvin. L , **Le Maghreb centrale à l'époque Zirides, recherche d'archéologie et d'histoire, arts et métiers graphiques**, Paris, 1957, p180. أنظر كذلك:

- Marçais. G , **Algérie médiévale, monuments et paysages historiques, arts et métiers graphiques**, Paris, 1957, pp 34-35.

(28)- لعرج عبد العزيز، **العمران الإسلامي**، المرجع السابق، ص89.

(29)- سورة الحجرات، الآية 12.

(30)- لعرج عبد العزيز، **العمران الإسلامي**، المرجع السابق، ص89.

(31)- الباشا حسن، **الآثار الإسلامية**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1979م، ص ص223 -224.

(32)- غالب عبد الرحيم، **موسوعة العمارة الإسلامية**، ط1، طبع المطبعة العربية، بيروت، 1408هـ-1988م، ص384.

(33) - محمد موسى رفعت، المرجع السابق، ص231.

(34)- خماش نجرة، **دراسات في الآثار الإسلامية**، مطبعة رياض، دمشق، 1401-1402هـ /1981-1982م، ص21، أنظر كذلك: محمد موسى رفعت، المرجع السابق، ص 237. - غالب عبد الرحيم، المرجع السابق، ص183.

(35)- قاجة أحمد جمعة، المرجع السابق، ص142.

(36)- Reveault. J , **palais et résidence d'été de la région de Tunis**, XVI- XIV siècle, C.N.R.S, Paris, 1947, p63.

(37)- Marçais. G, **l'architecture musulmane d'occident, Arts et métiers graphiques**, Paris, 1954, **p**442.

(38)- الريحاوي عبد القادر، المرجع السابق، ص 612.

(39)- غالب عبد الرحيم، المرجع السابق، ص141.

(40)- دحدوح عبد القادر، **مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، دراسة عمرانية أثرية**، أطروحة لنيل دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة بوزريعة، 2009- 2010، ص547.

(41)- دحدوح عبد القادر، المرجع السابق، ص550.

(42)- غالب عبد الرحيم، المرجع السابق، ص141.

(43)- كيال منير، المرجع السابق، ص151. أنظر كذلك: غالب عبد الرحيم، المرجع السابق، ص141.

(44)- قرمان عبد القادر، **المنشآت المدنية في مدينة مليانة، دراسة أثرية**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007م، ص99.

(45)- موساوي عربية، **الحمّامات الجزائرية من العصر الإسلامي إلى نهاية العهد العثماني**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، 1990/1991، ص ص128- 140.

(46)- دحدوح عبد القادر، المرجع السابق، ص551.

(47)- قرمان عبد القادر، المرجع السابق، ص99.

(48)- غالب عبد الرحيم، المرجع السابق، ص140.